



لا أحد يشبه بشار الأسد أكثر من فلاديمير بوتين. كلاهما يتسلل العنف للبقاء في السلطة، الأول في الداخل بعدما أجهض تمدده خارجياً، والثاني في الخارج تلافياً لمحاسبة داخلية. وكلاهما يحتالان على الواقع من خلال نظام ودستور وضعاهما لخدمة هذا الهدف الوحيد، أياً تكون العواقب على بلديهما.

يتصرف حاكم دمشق الذي لم يعد يسيطر على أكثر من 35 في المئة من الأراضي السورية وكأنه لا يزال الحاكم المطلق لسوريا، فلا يفوّت مناسبة لإلقاء بتصريحات وموافق أمام زواره المقتصرین على مسؤولين إيرانيين ورؤوس من الصفة الثالث وبعض السياسيين اللبنانيين.

في خطب عن «الشعب السوري»، قاصداً القلة القليلة التي تعيش، لضيق السبل، مذعورة في مناطق تخضع لعسف أجهزة استخباراته وميليشياته، ويتحدث عن «مكافحة الإرهاب» الذي كان بين أول مبتكريه ومشجعيه ولا يزال يدير الكثير من تنظيماته، ولا يخجل من تعداد شروطه لوقف الحرب على مواطنيه، ولا من ترداد تصنيفاته في «الوطنية» و«الحكم الرشيد»، ولا يتورع عن اعتبار نفسه مرشحاً دائماً إلى أي انتخابات في أي وقت، وسط تصفيق بطانته المُداهنة.

وكلما تمر مناسبة من دون أن يشكر الأسد طهران وموسكو اللتين لم يكن ليقوى في موقعه من دون دعمهما المتعدد الأشكال، وخصوصاً العسكري.

أما بوتين الذي أمضى حتى الآن 14 عاماً في الكرملين، فصلت بينها ولادة شكلية لكبير موظفيه ديمتري ميدفيديف الذي لا لون له ولا طعم، فيشير الروس بأنه لا يستبعد الترشح إلى ولاية رابعة في 2018، تبقيه جاثماً فوق رؤوسهم حتى 2024 فقط، في حال لم يستجب لرغبة «نواب الشعب» ويعدل الدستور بما يمنحه الرئاسة مدى الحياة.

ولا يبالي «القيصر الصغير» المتحذلق بأن مغامرته الحمقاء في أوكرانيا توقع بلاده في عزلة سياسية مت坦مية مثلما حصل في

قمة «مجموعة العشرين»، وعقوبات اقتصادية «كارثية» على حد تعبيره، قد تعيدها عقوداً إلى الوراء.

فالهم بالنسبة إليه إثبات أنه قادر على مقارعة «الأعداء» الذين يريدون «إخضاع الروس»، سعياً إلى إسكات معارضيه في الداخل الذين يشبههم بـ«الفيروس»، بعدما جرب السجن والاغتيال وسلسلة قوانين أمعنت في «تطهير» المؤسسات.

ويتناسق طریقاً الأسد وبوتین في اقتراح موسکو رعاية «حوار بين السوريين» يكون حاکم دمشق أحد طرفیه، ويكون الثاني من يختاره هو للجلوس قبلته.

أما هدف الحوار الذي لم تعلق طهران عليه، فليس إيجاد بديل من الأسد، أو حتى حکومة انتقالية بصلاحیات تتولاها المعارضة في وجوده، بل «البحث في مواجهة خطر الإرهاب الدولي»، في استخفاف واضح بمئات آلاف الضحايا السوريين الذين سقطوا، ولا يزالون يسقطون، بأسلحة الجيش النظامي، في مجازر يومية.

ويلجأ المسؤولون الروس إلى أساليب بدائية لإقناع المعارضة السورية بأن موقفهم «تغير» من الأسد ونظامه، عبر تسریبات ووعود يقطعونها إلى بعض الشخصيات التي تحظى برضاء دمشق، بهدف تشجيعها على لعب دور في زيادة انقسام المعارضة وإرباكها، لكنهم سرعان ما ينفون هذه التسریبات مؤكدين تمسکهم بشاغل قصر المهاجرين.

وبانتظار موافقة لن تأتي على مشاركة المعارضة في هذا «الحوار»، تستقبل موسکواليوم وفداً من النظام برئاسة وزير الخارجية ولید المعلم الذي تبين في لقاءي جنيف أنه لا يملك أي صلاحیات تفاوضية مع أي كان، وأن قرار دمشق يبقى بيد طهران، بالوكالة عن ربها الأسد.

الحياة

المصادر: